الطبيب في الهيئة الاجتماعية

لجناب الدكتور سليم افندي الحلو (١)

ان الموضوع الذي اخترته للبحث لديكم ايها السادة هو: «الطبيب في الهيئة الاجتماعية» ولعل البعض يتوهمون لاول وهلة ان هذا الموضوع لايهم سوى طائفة الاطباء. على انه سيظهر لكم ايها السادة ان ابوابهُ تستلفت انظار جميع الناس اطباء كانوا او غير اطباء وان ما دعاني لاختيار هذا الموضوع اسبابٌ ثلاثة: اولها كون صناعة الطب تهم كل طبقات الناس والطبيب هو مطمح ابصار كل انسان رفيعًا كان او وضيعًا. فالانسان من حيث انهُ يميل بالطبع الى البقاء ويخشى الفناء كان مدفوعًا بالطبع ايضًا الى الحرص على الصحة التي هي دعامة الحيوة وقوامها. وثانيها ان بلدةً نظير حاضرتنا قد حوت من الاطباء اشكالاً والوانًا بين وطنيين واجانب على اختلاف الاجناس والنِّحَل لا يبعد ان يتوق اهاليها الى الوقوف على ما يجب ان يكون عليهِ الطبيب. ثالثًا واخيرًا اني بصفتي موظفًا في طبيًا دعي لالقاء الخطبة السنوية في مدرسة طبية وبمناسبة انتهاء قسم من طلبة الدروس الطبية كان من المناسب ان ابحث في هذا الموضوع استلفاتًا لانظارهم الى ما سيلاقونهُ في العالم وهم متقلدون مهنة «اسكولابيوس» السامية مما لم يرشدهم الاختبار اليهِ بعد فاقول:

الطب ولا ازيدكم علمًا صناعة شريفة مقدسة من شأنها حفظ الموجود واستعادة المفقود. اريد ان الطب علم تحفظ بهِ صحة الابدان وتعاد اليها بعد اذ تكون زايلتها على اثر المرض. وما اصل هذه الصناعة في مهد البشرية الاَّ ميلاً طبيعيًّا غريزيًّا وجد في الانسان لتلطيف آلامهِ وآلام ابناء جلدتهِ. فانهُ اذا رأى عزيزًا لديهِ اصيب بمرض او عاهةٍ مؤلمة اخذ يقدح زناد الفكرة في ايجاد ما يزيل هذه العلة او يلطفها. فالشفقة اذًا كانت من جملة الدعائم التي نشأ عليها الطب وهي مزيَّة يجب ان ترافق الطبيب اينما كان وفي كل حال. ليحيَ الطبيبُ لغيرهِ لا لنفسهِ. وهذا هو شعار الطبيب الحقيقي. وما غايتهُ الوحيدة الاَّ تخليص حياة الاخرين وحفظ صحتهم. ومن لبثت هذه غايتهُ عرف من نفسهِ قدر هذه الصناعة النبيلة وادرك ماوراء معاطاتها من اللذة والشرف وعرف ان المراد من وجودهِ طبيبًا ان يوفق نفسهُ للمصالح العمومية وينشر لواء الخير حواليهِ كيفما حل او رحل. واي مهنةٍ مثل الطب تسهل للمرء بل تضطرهُ في كل وقت وعند كل فرصة ليعمل الخير ويلقي السلام ويزيل الضير ويخفف الآلام

(١) خطبة تلاها في اجتماع المدرسة الكلية السورية السنوي في ٨ يوليو (تموز) سنة ١٨٩١

هذه هي ايها السادة ماهية الطبيب الحقيقي . والقاعدة الاساسية التي ينبغي له اتباعها هي هذه : «اسلك ايها الطبيب سلوكًا يقربك دائمًا وبقدر الامكان من غاية مهنتك السامية ألا وهي حفظ حياة الناس واعادة صحتهم وتلطيف آلامهم واوجاعهم» فاذا وضع الطبيب نصب عينيهِ هذه القاعدة سلكَ على الدوام الصراط المستقيم وكانت له هدًى في اصعب المسالك واشد المحن

ولنبحث الآن في واجبات الطبيب بالنظر الى ثلاثة امور . الامر الاوّل واجباتهُ نحو مرضاه . والثاني واجباتهُ نحو الهيئة العامة . والثالث واجباتهُ نحو زملائهِ الاطباء

على الطبيب ان لا يرى في من يعالجهُ غير الانسان بحيث لا يفرق بين غني وفقير او رفيع ووضيع . ومن كان منهم اشد خطرًا او اوفر المًا كان اكثر حاجةً الى اعتنائهِ مهما تكن منزلتهُ . والطبيب الذي لا يراعي هذا الامر لا يدرك ماهية وظيفتهِ ولا سمو الجزاء المترتب عليها . ويشهد الحق ان قبضةً من الذهب ليست بالشيء المذكور في مقابلة دموع الشكر والامتنان تسيلان في عين الفقير الذي يجعل نفسهُ وقف اشارتنا اعتبار انهُ مديون لنا الى الابد لانهُ غير قادر على ايفائنا اتعابنا لديهِ . ولا اقول ذلك اجحافًا بما يجب علينا من الاعتبار لذاك الذي يدفع اجرة الطبيب الاّ ان دراهم المريض لا تكون ذات قيمة في عين طبيبهِ الاّ اذا رافقتها العواطف الدالة على تقدير الخدمة بغير ثمن الذهب . اذ لا خدمة في الدنيا توازي خدمة الطبيب . فكم من مرة رأينا الطبيب الصديق الوحيد الباقي بجانب فراش المريض المحتضر او المقاسي اشد العذاب والالم . كم من مرة وجدناه كملاك السلام والتعزية يعيد الى ذاك المسكين بعنايتهِ الشفوقة آمالاً كانت فارقتهُ كانما هو يسكب في عروقهِ قوى جديدة تنشطهُ وعلى جراحهِ بلسمًا مضمدًا يبرئها

فاذا وجد من الاطباء مَن لا يرى في هذه الامور جزاءً كافيًا لاتعابهِ فليعلم ان لصوت الفقير الذي انقذهُ من هاوية القبر صدًى يتردد على آذان العالم فيكسبهُ منزلةً وشانًا ينوفان اجرة تافهة دفعها من يعدُّ نفسهُ براء من كل دين نحو الطبيب الذي بذل في سبيل شفائهِ اعز ما لديهِ

وعلى الطبيب ان يوجّه الدقة والانتباه الى معاطاة مهنتهِ ولا ينظر الى عليلهِ نظرهُ الى آلة يعمل فيها بل ينظر اليهِ نظر المرء الى الغاية المقصود نيلها نظرهُ الى الانسان اسمى واشرف مخلوقات الله سبحانهُ . ومن المعلوم انهُ يندر ان تلاحق المحاكم الطبيب لمطالبتهِ بسيء عمل اتاهُ ولكن كم في باطنهِ من محكمة اسمى وارفع وادق وارهب تنتصبُ قضاتها امام باصرتهِ

اريد بذلك محكمة ضميره الذي لا يقبل حجة ولا عذرًا ولا يغشهُ احتيال ولا شهادة كاذبة. ذلك الضمير الذي لا يبرر الاَّ نفسًا نقية مقتنعة انها لم تهمل امرًا ولا حيلة لنجاة العليل.

ويعلم سادتي ان الذكاء واتقان الصناعة لا يكفيان وحدهما لبلوغ الارب بل ان لسلوك الطبيب شأنًا واي شأن اذ بهِ ينال ثقة الجمهور لانهُ لما كان الناس غير قادرين على ان يحكموا على منزلتهِ العلمية فبالطبع يضطرون لاصدار حكمهم عليهِ بالنظر الى كيفية سلوكهِ بينهم. فعليهِ اذًا ان يطابق جليل مسلكهِ على جلالة مهنتهِ بان يكون انيسًا رزينًا مهذبًا لطيفًا عبوسًا عند الاقتضا والحاجة وبشوشًا ومتساهلاً في ما لا يكون ذا اهمية. وغير متزعزع تجاه المبادىء المهمة. شفوقًا ودودًا يحترم الدين وما فيهِ من اسباب التعزية والتسليم. وليحترس من الحدة والبلادة ويتجانب الكبر والعظمة وبالاجمال ان فرط الشاهي غلط وخير الامور الوسط والمهم ان يستجلب اليهِ بحسن تصرفهِ الثقة من العليل وذويهِ.

ولا يخفى ان في كل زمان يشاهد من الاطباء الحديثين من يفرغون جهدهم عند اوَّل دخولهم مضمار هذه الصناعة في التقريط باجراء كل ما من شانهِ ان يستلفت الانظار اليهم فيتأنقون في ملابسهم وغيرها او يتغالون في تظاهرهم بعلوم ومعارف جديدة فمثل هولاء يشف عن روح التدجيل المشين بقدر الطبيب الحقيقي الادب. وليعلم هولاء ان اعمال الانسان وسلوكهُ المستقيم وادابهُ الحقيقية انما في طريق نجاح المرء لا الحيل والتدجيل والاوهام. فهذه اعمال وان انتشت على فاعلها ببعض الجدوى في اوَّل الامر الاَّ انهُ لا بدَّ لها ان لا يطول حتَّى تنكشف الحقيقة كالصبح لذي عينين فيخسر المرائي اكثر ما يكون اكتسب ويهبط واي هبوط بعد ارتفاعهِ السريع اذ ان طلاوة الجديد تضمحل ويبقى القديم على قدمهِ لان الرجل العالم الذي يلاحق غايتهُ بلا ملل سائرًا في سبيل الآداب والحشمة والانضاع يبلغ يومًا ما الى درجة يثبت فيها مستقبلهُ في عالم الوجود باستجلابهِ لنفسهِ تدريجًا ثقة الناس وحبهم فيقدرونهُ حق قدرهِ ولو لبث حينًا من الزمن مختبئًا عن الابصار.

ثم انهُ لا يكتفى من الطبيب بشفاء العليل فيما اذا كانت علتهُ قابلة الشفاء بل من واجباتهِ ايضًا ان يطيل ان امكن حياة العليل ويلطف عذاب هذه الحياة اذا كانت العلة غير قابلة الشفاء وما اجهل الطبيب الذي لا يدري كنه وظيفتهِ وواجباتها فتراهُ مكتوف اليدين امام فراش المأوف وربما اهملهُ كالجبان الذي يفرُّ من وجه العدو. نعم ان المريض الذي يحتمل عذابهُ ولا امل لهُ بالشفاء يستحق منا الشفقة والحنو اكثر من الذي امالهُ بالابلال من علتهِ تخلف عنهُ وطأتها. عزٍّ وسلٍّ من تراهُ واقعًا في وهدة المصائب اذا لم تستطع الى خلاصهِ سبيلاً

قلنا ان حفظ الحياة واطالتها لها الغاية السامية المقصودة من صناعة الطب وعلى كل طبيب آلى على نفسهِ تقلد هذه المهمة الشريفة ان يسعى جهدهُ وراء هذه الغاية وان يقلع عن كلما من شانهِ ان يخرق حرمتها . ولا خفاء ان الطبيب الجاهل او الغافل لا يقتل العليل بالادوية والسموم فقط بل ان للكلام ايضاً فعلاً يحاكي فعل الحسام اريد ان الطبيب اذا انذر المريض بحقيقة الخطر المحدق بهِ لا باللسان فقط بل بحركات سحنتهِ المنقلبة قتلهُ احياناً وان لم يكن متعمداً قتلهُ . فمن واجباتهِ اذاً ان يكون بصيراً خرِّيصاً لا يتفوه بكلمة ولا يبدي حركةً يستشف من ورائها ما بالعليل من شدة الخطر . بل يجب عليهِ ان يبدي آثار الموانسة بكلامهِ وحركاتهِ وهو بذلك يحيي مائت الآمال في فؤادهِ المضطرب . على ان الحكمة تقضي ان يبلغ حقيقة الامر لمن كان من اقرباء العليل اقل تأثراً على مصابهِ فان بذلك يرفع عن نفسهِ الملام عند وقوع القضاء ويحفظ ثقة القوم بهِ ويأمن نسبة الجهل والاهمال اليهِ

وعلى الطبيب الصادق الراغب في نجاح المرضى وينعم ان يداوم المطالعة في السجلات والمجلات الطبية لانهُ اذا اقتصر على ما تلقى في المدرسة لبثت معارفهُ قاصرة والنفع منهُ قليلاً ولاسيما في عصرنا الحالي حيث نرى كل يوم اكتشافاً جديداً والطبيب الذي لا ينعكف على المطالعة والدرس كل يوم يصبح جاهلاً في نظر زملائهِ ويكون كمن عرف النور والاشباح مدة طفوليتهِ ثم فقد البصر بعد ذلك قبل ان يدرك حقائق الموجودات ودقائقها

ومن اهم ما يجب على الطبيب اجراؤهُ في سبيل منفعة العليل ان يرسل النظر من خلوتهِ كل مساء الى حالة العليل التي شاهدها في النهار ويبحث في ما يجب عملهُ لشفائها ويا حبذا لو رقم في سجلٍّ مخصوص اعراض كل علة وعلاجها مع ذكر مصيرها فان ذلك يفيدهُ كثيراً في معاطاة مهنتهِ كما لا يخفى

ومما ينبغي مراعاتهُ من الطبيب في معالجة مريضهِ حالة مالیتهِ ومقدرتهِ على نفقة المعالجة فلا يتفق والعلة على خراب بيت عليلهِ وحملهِ على بيع املاكهِ لتخليصهِ من آلامهِ على شريطة ان تحصل الفائدة من العلاج اذا كان برخص ثمنهِ تنال الغاية . هذا ما لم يكن مال المريض وذوقهُ اللطيف يضطران الطبيب الى عدم مراعاة هذا الامر . وان كان الامر بالخلاف فانا الضمين لزميلي ان الصادلة الادباء المحبين للانسانية لا يتقمون عليهِ ولا على هذا الخطيب

اما ما يتعلق بواجبات الطبيب نحو العموم فنقول فيهِ

ان للرأي العام شأناً عظيماً في الاطباء . فيؤثر فيهم اكثر ما في سواهم من اصحاب المهن والمصالح . فما الطبيب بحصر المعنى الا رجل الشعب ولذلك كان لراي الشعب حكم

نافذ فيهِ . فعليهِ اذًا الاَّ يهمل امرًا يكسبهُ ميل العامة وثقتها بهِ من حيث العلم والآداب والعقيدة . ومن لا يعبأ لكبريائهِ بقول الناس فهو غافل عن ادارة مصلحهِ واما الحكيم فانهُ يعرف كيف يتصرف بعزة نفسهِ لبلوغ غايتهِ وما غاية الطبيب الاَّ شفاء العليل كما قلنا فانهُ كلما اكثر من الممارسة والمزاولة قرب من غايتهِ واصبح نافعًا لابناء جلدتهِ . فاذا كان الرأي العام حسن الظن بالطبيب كان من جملة دواعي نجاحهِ فوجب من ثم على كل طبيب عاقل ان يسطر في دفتر واجباتهِ وجوب استمالة الجمهور اليهِ بطرق شريفة ومأ لوفة . والقاعدة هي ان يستلفت الطبيب الجديد انظار الشعب ويستميلهم بمحامدهِ لكي يستودعوهُ اعز ما لديهم اي الصحة والحياة

واخص الوسائط لبلوغ هذا المرام انما هي عناية الطبيب التامة بمعالجة مرضاهُ ثم استقامة مسلكهِ ونزاهة مشرب لا يغيرها الزمان ولا تشوبها الاهواء . ومن هذا القبيل الشجاعة الممدوحة والسيرة الحسنة والحشمة . ودقة الحكم في الامور . والمعرفة والفطنة في انتخاب العشراء والاصدقاء والخلطاء . والاجتهاد في محائدة اقل الظواهر الموجبة للشكوك . وعليهِ ان لا ينسى ابدًا انهُ في نظر الناس موضوع انتقاد اكثر من سواهُ ولا سيما اذا كان حدثًا وذلك لعلاقتهِ بكل فرد من افراد الهيئة الاجتماعية لان كل فردٍ منها يهمهُ معرفة ذلك الذي يمكن ان يستلم يومًا من الايام ادارة امور صحتهِ او صحة عزيز لديهِ

ولا ينبغي ان ينتمي الطبيب الى حزب من الاحزاب لانهُ كما اشرنا رجل عمومي وعنصرهُ الوحيد هو الشعب كلهُ . وشعارهُ حرية المبدإ . فعليهِ اذًا ان لا يكون حلفًا مع هذا دون ذاك . وليهنأ بكون وظيفتهِ لا تبيح لهُ الاتحاد مع الذين يحبون الانقسام والشقاق . بأنهُ يجب عليهِ ان لا يرى في الانسان الاَّ الانسان

وياحبذا لو تمكن الطبيب في خطبهِ ومنشوراتهِ من نفع العامة وارشادهم الى القوانين الصحية والمبادىء التربية وحملهم على الاعمال الخيرية النافعة للبشرية فانهُ بذلك يصنع خيرًا جزيلاً ويستميل اليهِ قلوب الناس المفطورة على المبرات طبعًا . انما عليهِ ان يتحاشى في ذلك وفي غيرهِ مس كرامة الغير كما لو تظاهر دفعةً واحدة وبدون تروٍّ في مقاومة بعض الاوهام المغروسة في الطبع بمرور الايام

اما مسألة حفظ السر فلا حاجة بي للاطالة بشأنها اذ ليس من طبيب جاهل يلفت بهِ الحماقة والدناءة والخسة والطيش الى حدٍّ يبيح لهُ اباحة السر كيف لا وحفظ السر من الصفات الملازمة للطبيب والتي بدونها لا يصح ان يكون المرء طبيبًا . فالطبيب من حيث

انهُ مستودع اسرار الناس قابض على زمام سعادة الافراد والعيال . فافشاء سرها يعدُّ سقطةً مادونها سقطة في الدنيا . ولذلك عليهِ ان يتحاشى التكلم عن مرضاهُ وذكر علتهم وآفاتهم

ولا حاجة بي ايضًا للقول انهُ لا يحسن بالطبيب ان يكون مقامرًا ولا سكيرًا ولا فاسقًا لان هذه العيوب مناقضة تمامًا للحامد التي تقتضيها مهنتهُ . وهي تفقدهُ ثقة الجمهور به بلا شك

والاجدر بالطبيب ان يكون متزوجًا وان تكون سيرتهُ الداخلية اي في عائلتهِ ممدوحةً طيبة الجملة فيكتسب ثقة العموم واخصهم السيدات وينجو من تهم وشكوك الى غير ذلك مما تدركهُ حكمة البصير بلا عناء

وليتجنب الطمع وكل ظاهرة تدل عليهِ واذا تبين انهُ محب للمال يطلب اجرة فاحشة كرههُ الاكثرون وانحطت منزلتهُ الادبية

ذلك أهمّ ما أراهُ في واجبات الطبيب نحو العموم فمن لنا بخطيب يجهر بواجبات العموم نحو الطبيب . . . .

ولنأتِ الآن الى ذكر واجبات الطبيب نحو زملائهِ . فهذه الواجبات تقسم الى نوعين منها ما يتعلق بالاطباء فيما بينهم . ومنها ما يتلق بالمرضى الذين يعالجونهم

وكل من هذين النوعين لا ينقص اهميةً عن الآخر . فان من المبادىء الضروريةً العامة التي يجب ان يتخذها الاطباء خطةً جلَّ وغايةً مثلى ان يعتبر بعضهم بعضًا اعتبارًا متبادلاً واذا كان ذلك متعذرًا فلا اقل من ان يحمل احدهم الآخر فيكون نحوهُ متساهلاً متسامحًا قدر الامكان . ومن الضرورة ان يعتبر الاطباء ان لا جنسية في الطب ولا مذهب ولا مدرسة ولا شيء من ذلك يقتضي ان يكون باعثًا يجوّز للطبيب ان يحتقر طبيبًا آخر فكما أننا لا نرى في المريض الاَّ الانسان متألمًا متوجعًا بقطع النظر عن منزلتهِ وشأنهِ كذلك لا ينبغي ان ينظر الى زميلهِ الاَّ من حيث هو طبيبٌ مثله موقوف لخدمة البشريةً وتخفيف مصائبها سواء كان زميلهُ من مواطنيهِ او أجنبيًا عنهُ . او كان من طلبة مكتبهِ او من مكتب سواهُ . ولا جنسية للعلم

ومن المقرَّر ان الحكم على الغير صعبٌ في كل حال فكم بالحري هو اصعب من طبيب على سوّاهُ والاطباء يهزأون بغير الطبيب اذا ادَّعى انهُ قادر على الحكم في صلاحية هذا الطبيب وعطل ذاك فكيف يجيزون لانفسهم الحكم على زملائهم مع معرفتهم مصاعب هذا الفن ودقائقهُ ويجسرون على اعطاء قرارهم بمظاهر الاستخفاف والاحتقار والقسوة قصد الارتفاع بانحطاط الغير

ويا حبذا لو اعتقد الكل هذه الحقيقة وهي ان كل طبيب سعى في ان يحط من قدر زميله فقد حط قدر نفسه وقدر صناعته . ومن يعتقد انهُ يعلو اذا سعى في انحطاط اقرانهِ فهو ضئيل البصيرة قليل الخبرة يدفعهُ حب الذات الى وهدة الضلال . ناهيك عن ان طعن الطبيب على رصفائهِ مخالف للشهامة والادب الآمرين بستر عيوب الآخرين لا بافشائها واشهارها هذا اذا كان ثمة من عيب واضح حقيقةً فكيف اذا لم يكن عيبٌ ولا خطأٌ . أولم يدرِ ذلك الطاعن انهُ يصبح مخطئًا في نظر اصحاب الادراك اكثر من الذي رمى بلواذع لسانهِ لان المطعون بحقهِ لا يخسر الاَّ بصفة كونهِ طبيبًا اما الثاني فيسقط من حيث انهُ انسان وليعلم المتقدون والذين يتخذون الهجوم دينًا ان « بالكيل الذي يكيلون يكال لهم ويزاد» وكل من عامل قريبهُ بقساوة وعجرفة عومل هو من زملائهِ بتلك القسوة والاحتقار بنفسها وما ذلك الاَّ عدل وانصاف

ومعلوم ان التجارب ونتائجها هي القاعدة الثابتة الاكيدة في الطب وبقدر ما يطول اختبار الطبيب وتتوفر تدقيقاتهُ وتزداد ملاحظاتهُ بقدر ذلك يكون علمهُ ادق ومعارفهُ اوسع ومذهبهُ اصح . فلا اظن ان الطبيب المنتهي جديدًا من دروسهِ يحق لهُ ان يتباهى لوقوفهِ على آخر اكتشافات العلم والفن زاعمًا كقول البعض ان الحقيقة خصتهُ بهِ دون سواهُ وقد غفل او تغافل ان العلم مع اكتشافاتهِ اصبح اليوم يجوب الاقطار مجهولاً على صحف الاخبار بل على اسلاك البرق . وكل طبيب يقدر ان يحبط علمًا بما جدَّ اذا كان مدمنًا المطالعة والبحث . وزد على ذلك ان الممارسة والخبرة الشخصية مدرسة جديدة تعلم المرء المدقق البصير ان لا يفرح اذا قرأ ولا يحزن اذا اخبر . فليعتبر الطبيب الحديث كل طبيب قديم لخبرتهِ ودقة نظرهِ وسعة معارفهِ وتوقهِ الدقيق في الممارسة ومعرفتهِ مناعيل العلاجات معرفة من نظر فعلها الوفًا من المرات في الوف من العلل . وليتقرب اليهِ ليكتسب منهُ معارف جديدة تنضم الى معارفهِ الشخصية ويصبح لهُ لدى الاقتضاء عضدًا امينًا

وعلى القديم من الاطباء ان ينظر الى الحديث نظرهُ الى من درس هذا الفن درسًا جديدًا على مبادئ حديثة منحصة ويكرمهُ لانعكافهِ على المطالعة والدرس ولا ينسى انهُ هو ايضًا سلك هذا المسلك قبلهُ وقطع مثلهُ عقبات عسرة متغلبًا على صعوبات شتى حتى صار الى الدرجة التي هو فيها . وعليهِ خصوصًا ان يعاملهُ بالرقة والانس والملاطفة في اوقات المشورات الطبية فيكون لكلامهِ فائدة كبيرة في مستقبل الشاب

اما الواجبات المتعلقة بالمرضى فاخصها ما اختص بامر المشورات الطبية . وهذه المشورات اصطلاحية اكثر مما هي نافعة اذا تمت بين عددٍ وفير من الاطباء او تجاوزت بكثرتها الحدّ اللازم . لانهُ اذا كانت الاراء متفقة فاجتماع كثيرين لا يجدي غير خسارة الدراهم واذا كانت متباينة فيقع المريض مع ذويهِ في حيص بيص ولا يجنون غير الاضطراب والقلق . على اني لا انكر نفع هذه الاجتماعات بل اعدها ضرورية ايضًا اذا كانت العلة غير واضحة او قد امست مستعصية على العلاج او قد ضعفت ثقة العليل بطبيبهِ او كان العليل ذا مركز مهم عند العامة او عزيزًا عند اهلهِ الى حدٍّ يقلل من جرأة الطبيب في المعالجة لتعاظم المسئولية عليهِ

ولبلوغ المنفعة الاكيدة من هذه المشاورات او الجمعيات الطبية يقتضي ان تجري على القواعد الآتية

اولاً ان لا يكون فيها اطباء كثيرون فيكفي لذلك طبيبان او ثلاثة . ثانيًا ان لا يكون بين المتشاورين مباغضة وان لا يكون بينهم طبيبٌ عنيد او مستمسك بمذهب خاص . ثالثًا ان يكونوا ممن طالت ممارستهم

والمبدأ الاول الذي يجب ان يتبعهُ كل طبيب مشاور هو شفاء المريض . ومتى كان هذا المبدأ نصب عيون الاطباء امتنعت كل مشاجرة ومخاصمة وعاد نفع المشورة على المريض

وعلى الطبيب المشاوَر ان يحترم الطبيب المشاور ولا يجوز ان يستغيبهُ ولا ان يرضى بان يقوم مقامهُ في معالجة المريض الذي تشاورا بشأنهِ ما لم يحصل التراضي بين الطبيبين . وعارٌ على من دعي لمشورة ان يحاول اقناع المريض او ذويهِ ان ما كان اجري اولاً لم يكن بالموافق . فمثل هذا العمل يشير الى خسةٍ في الطبع وضعف الشيمة والمروءة وهذا الامر نادر والحمد لله ولا يستعملهُ الاَّ من نزف ماء الحياء من جبينهِ

ومن الامور التي لا توافق لمصلحة المريض وادٌّ تنبيه الافكار اليها هو ان العليل قد يخطر لهُ ان يستغيب طبيبهُ و يستحضر آخر ليقف منهُ على صواب اجراءات طبيبهِ أو عدمها فالاجدر بالعليل ان يجمع من يريد استشارتهُ بطبيبهِ ليتذاكرا في الامر وعلى الطبيب المشاوَر الاَّ يستغنم الفرصة حينئذٍ لاكتساب المريض وابعاد رصيفهِ بل عليهِ ان يتحاشى كل ما يضرُّ برصيفهِ و يعرض على العليل ان يجمعهُ بهِ

على انهُ اذا كانت قد ضعفت ثقة العليل بطبيبهِ واحبَّ استبدالهُ بسواهُ فهو حرٌّ ان

يفعل ولا لوم عليهِ ولا تثريب على من دعاهُ لمعالجتهِ فلبّى الطلب اذ لا حرج في امر الثقة والحريّة الشخصية . وعلى الطبيب الجديد حينئذٍ ان لا يغتاب الطبيب الاول بوجهٍ من الوجوه

ومما لا يمكنني السكوت عنهُ في هذا المقام ان المريض اذا استبدل طبيبًا بآخر فكثيرًا ما يعتذر عن عملهِ هذا بقدحهِ وطعنهِ في طبيبهِ الاول واذا كان الطبيب الثاني غير اديب استغنم هذه الفرصة ليدفعهُ الى زيادة الطعن مجاريًا اياهُ على زعمهِ وتوهمهِ . واما اذا كان شريف النفس ابيها فلا يسمح قط بمثل ذلك لانهُ يمسُّ شرف صناعتهِ وقدر رصيفهِ واذا بارى المريض على اوهامهِ اضرَّ به لانهُ يقنعهُ انهُ اضاع الوقت والدراهم سدًى وان العلة تفاقمت وتعاظمت . فعلى الطبيب اذا لم يكن لهُ من مبادىء الشهامة ما يحملهُ على مراعاة حسب زميلهِ ان يعمد على الاقل الى مراعاة حالة المريض فتأخذهُ الشفقة عليهِ ويتحاشى نسبة عدم النجاح للعلاج الذي أجري

واذا كان قد نفذ القضاء بالعليل وسئل الطبيبُ حكمهُ في معالجة اجريت من سواهُ كما يحصل في غالب الاحيان . فليصمت عن الجواب مردّدًا على اهلهِ هذين البيتين لاني كثيرًا ما شاهدت على وجوه سامعيها دلائل التعزية والتسليم في مثل هذه الظروف

ان الطبيبَ لهُ في الطب خبرةٌ ... مادام في أجل الانسان تأخيرُ
اما العليلُ فان حانت منيتهُ ... تاه الطبيبُ وخانتهُ العقاقيرُ

الوقاية من الامراض

ذكرنا في مكان آخر من هذا الجزء طرفًا من تاريخ مؤتمر العجزين والديوغرافيا وخطبة رئيسهِ ولي عهد انكلترا ثم اطلعنا على ما ألقي فيهِ من الخطب وما دار من المذاكرات فاذا هي مشحونة بالفوائد العلمية والعملية ولذلك رأينا ان نقتطف منها ما هو قريب المأخذ جزيل النفع

والفرع الاوّل من فروع قسم العجزين هو فرع العلاج المنعي وكان رئيسهُ الدكتور يوسف فيرر فقال في خطبة الرئاسة ان ربع الذين يموتون في بلاد الانكليز يكون سبب موتهم امراض يمكن اتقاؤها وان عدد الوفيات يمكن ان يقلّ كثيرًا عمّا هو الآن فيطول متوسط عمر الانسان ويبلغ ثمانين سنة حسب ما قال صاحب الزبور ويزول كثير من الآلام